أوشكنا أن نقوم بالحركة في مارس 1952

- فاروق يحاول مغادرة البلاد بعد حريق القاهرة.
- سراج الدين يستدرجنا لصبح وزيراً للحربية.
- حيدر وطه حسين..
- 12 شيشكلي..
- اللعب على الحبلين..
- سنعمل وحدنا..

www.anwarsadat.org

أن المقابلة التى تمت بين فؤاد سراج الدين" باشا" وبين البكباشى أحمد أنور فى أواخر ديسمبر من عام 1951، والتي تركنا لأحمد أنور تسجيلها فى صفحتنا الأخيرة من هذه الصفحات، كانت من أهم المقابلات التى تمت قبيل ظهور حركة الجيش...

ولم تكن أهميتها عندنا ناجمة عن شعور منا بأهمية معاونة الوفد لنا فى حركتنا فقد كنا منذ مدة طويلة قد قررنا نهائيا أن ينفرد الجيش بالحركة دون تعاون مع أى هيئة سياسية أو غير سياسية خارج نطاقه.ز ولكن هذه الأهمية جاءت من شعورنا بوجوب اكتشاف كل شبر من الأرض التى نمشى عليها، قبل أن نقدم على خطوتنا.

لقد كان جمال عبد الناصر قليل الأمل فى إمكان قبول الوفد لما نعرضه عليه.ز ولكن هذا لم يمنعه من السعي إلى الوفد هذا السعي الحميد.. ولو أن الوفد قبل أن يكون الشرارة التى تطلق الثورة، لتغيرت ملامح كثيرة من تاريخ مصر الحديث.. ولكنه لم يقبل.. وسأترك للبكباشى أحمد أنور إتمام حديثه الذي نشرنا بدايته في الفصل السابق ليعرف القراء كيف كان تخاذل الوفد عن المضى فى الطريق الوحيد الذى كان يجب أن يمضى فيه.. وكيف أثر هذا التخاذل فى الأحداث المتلاحقة التى شاهدتها مصر فى مطلع عام 1952... والتي شاهدتها مصر فى مطلع عام 1952.. والتى انتهت بظهور الثورة وانتهاء عهد الفساد..

قال البكباشى أحمد أنور...

كنت قد مهدت الجو تماما لكى يشعر فؤاد سراج الدين بملء الثقة فى شخصي فيتكلم ويفصح، ولا يخشي أن تكون هناك دسيسة أو مكيدة قد دبرت له.

وكان فؤاد سراج الدين قد بدأ يشعرني بأني أصبحت فعلا موضع ثقته.. وأخذ يتكلم بصراحة وحرية في موضوعات سياسية ووطنية محاولا إيهامي بأنه يذكر لى أسراراً خطيرة لا ينبغي أن تذكر الا لمن يكونون في الموضع الأول من ثقة الرجل فيه..

وفجأة سألني السؤال الذي لم أكن قد توقعت يوجه إلى ولا أعددت نفسي للإجابة عليه..

قال لى فؤاد سراج الدين فى بساطة:

- **مين تفتكر يصلح لقيادة الجيش؟**

قال: قيادة الجيش.. ولم يقل قيادة الحركة.. وقالها فى بساطة لا مثيل لها وكأنه يسأل عن الصحة أو يتحدث عن حالة الطقس.

ولم أفهم أنا مغزى سؤاله ألا بعد انصراف من منزله.. عندما جلست استعيد ما دار في الجلسة حرفا حرفا لكى أقدم تقريري إلى البكباشى جمال عبد الناصر=== من وضع == سؤالا إلى جوار الآخر أنه لم يكن يسألني مجرد سؤال برئ عمن أظنه أصلح من الفريق حيدر باشا لقيادة الجيش دائما كان يقصد تماما إلى معرفة وقت حركة الضباط الأحرار.

أدركت هذا بعد خروجي من منزل سراج الدين.. وحمدت الله عند ذلك كثيراً.. فعلي الرغم من مفاجأته لى بهذا السؤال وعلى الرغم من جو الثقة الذى كان قد سيطر على الجلسة، وعلى الرغم من اللهجة البسيطة التى ألقى بها سؤاله فقد سيطر على، دون أن أدري لذلك سبباً، الحذر الطبيعي الذى كنا قد تعلمناه فى الفترة السابقة من الأعداد للحركة وكنت بالطبع فى مأزق..

فلابد لى أن أجيب.. وألا فقدت ثقة الرجل التى أجهدت نفسي فى اكتسابها.. ولم يكن ممكنا أن أجيب لان شخص قائد كان لابد أن يظل سرا حبيسا لا يعلم به أحد.

ووجدت نفسي أختار أسم رجل بعيد كل البعد عن حركتنا رجل لا صلة له مطلقا بالضباط الأحرار ولا بتشكيلاتهم ولكنه فى الوقت نفسه شخصية يمكن إذا ذكرت الا يقابل ذكرها فى هذا المقام بأي قدر من الارتياب..

وقلت له وكان ذلك بعد لحظات قصيرة جدا من سؤاله:

- **أعتقد أن اللواء سيف الدين هو الذى يصلح اليوم لقيادة الجيش واللواء سيف هو سفير مصر اليوم فى عمان..**

وهز سراج الدين رأسه وقال لى:

- **اختيار موفق**

ولم أفهم هذه الكلمة أيضا، فقد كنت لا أزال مأخوذا بالمأزق الذى وجدت فيه..

ويبدو أن سراج الدين قد سره أن عرف منى أسم" قائد حركة الضباط الأحرار" وأراد أن يضل عن طريقي إلى معلومات أخرى أعم وأشمل.. ولكنه كان فى كل كلمة حريصا وكان لا يسال سؤاله الا بعد أن يمهد له كثيرا..

هذا كله أدركته بعد انصرافي من منزله أما أثناء وجودي فقد كنت أحاول فقط أن أجيب على أسئلته وأن أعرف منه رأيه فيما جئت أعرضه عليه..

حيدر وطه حسين !

وبدأ سراج الدين تمهيده الطويل الثاني بالحديث عن الفريق حيدر باشا وكان طرق هذا الموضوع أمرا طبيعيا ما دمت قد حددت له أسم القائد الجديد..

فأخذ يتحدث عن انتخابات الناي الأولي، ثم قال:

- **أنتم خذلتمونا في مسالة حيدر..**

وكانت الحكومة قد قبلت استقالة حيدر باشا من قيادة الجيش على أثر التحقيقات التى أجريت فى قضية الأسلحة الفاسدة، ولكن الملك أعاده بعد ذلك رغم إرادة الحكومة.

وقال سراج الدين:

- **لقد قلنا للملك أن أعاده حيدر ستؤدى إلى كارثة وأن الضباط جميعا سيثورون... ولكنه عندما أعاده، ثم ندبه عنه فى حضور حفلة نادى الضباط، صفق له الضباط طويلا فى حضور وزير الحربية الوفدى مصطفى نصرت ــ مما أوجد الوزير فى حرج شديد، وشلنا فى موقفنا من الملك شلالا كاملا.**

وكانت هذه القصة قد وقعت بالفعل وكان تصنيف الضباط لحيدر هو أكبر لطمة وجهت إلى حكومة الوفد وأضعفت موقفها.

وأردت أن أطمئن سراج الدين، بافهمامه أن ما حدث لا يعبر مطلقا عن رأى الجيش.. وأن هذه المظاهرة قد افتعلها عدد معين من الضباط.. ثم قلت له..

- **أننا لو أتينا بطه حسين وعيناه قائدا عاما لكان أحسن كثيرا فى منصبه من الفريق حيدر باشا.**

ورأيت فؤاد الدين يبتسم، فاستطردت قائلا:

- **لانه ــ على الأقل ــ يفهم فى السياسة..**

وضحك سراج الدين ثم قال:

- **على كل حال أنتم صفقتم لحيدر..و أحرجتمونا**

وفي الحال، قال لى:

- **هل سمعتم عن اتجاه النية إلى التخلص من بعض الضباط؟**

وكنا على علم بذلك فعلا فقد كانت هناك قائمة قد أعدت لطرد عدد من ضباط الجيش وكانت هذه القائمة تتضمن أسماء سبعة ضباط من تشكيلنا.

12 شيشكلى

وقلت له: **لقد سمعنا أن الملك قال لحيدر بغضب" أزاى تسيب 12 شيشكلى قاعدين فى الجيش؟!"**.

وطرب سراج الدين لهذه الإجابة .. ثم سألني:

- **زي مين ؟**

ولما وجدني تلكأت فى الإجابة .. أستطرد هو قائلا:

- **أنك تستطيع إذا عرفت الأسماء وكانت تهمكم أن تبلغني شخصيا بما تعرف.. فقد أستطيع أن أكون مفيداً!**

وكنا نحن نعلم أن هناك مباراة بين الوفد وبين الملك فى السيطرة على الجيش.. وكان فؤاد سراج الدين يريد أن يعرف ما لدي من معلومات لكي يشعر الملك بأنه على علم بكل شئ ثم ستغل هذا فى الوصول إلى هدفه الذى يسعي إليه كثيراً.. وهو أن يكون وزير الحربية.. فقد كان همه فى تلك الأيام أن يقنع الملك بأنه إذا أصبح وزير للحربية لاستطاع أن يسيطر على الجيش تمام السيطرة..

من أنتم؟!

وعاد سراج الدين يؤكد لى استعداده لكى يكون مفيدا لنا إذا عرف منى أسماء من يهمنا أمرهم..

ولكنى فى هذه اللحظة كنت حاسما فقلت له على الفور:

- **أرجو الا تهتم معاليك كثيرا بالأسماء.. ويكفى أن تتأكد من وجود قوة مخلصة كافية داخل الجيش.. وأنك أنت الذى تستطيع أن تعتمد علينا وأن تجدنا فى أي وقت إذا أردت منا مساهمة فعلية فى شد آزركم تجاه الملك، في أيه خطوة دستورية أو وطنية تريدون اتخاذها .**

وطرق سراج الدين.. ثم قال:

- **يعنى؟!**

فأجبته:

- **يعنى أننا نريد منكم بصراحة أن تتخذوا موقفا وطنيا شديدا من الملك**

فقال:

- **إذا أقالنا الملك؟!**

قلت له:

- **تتمسكون بمركزكم وتتركون الباقي لنا.. فالجيش كله على استعداد للوقوف إلى جانبكم فى هذه الحالة وقوفا قويا فعالا موازرا..**

وابتسم سراج الدين وهو مطرق.. ثم قال:

- **ربنا يسهل.. وأن كان رأيي الصريح هو أن الجيش يجب أن يلزم شئونه الخاصة.**

وانتهت المقابلة بذلك.. وتوجهت إلى البكباشى جمال عبد الناصر، فرويت له كل تفاصيلها..

اللعب على الحبلين

ولنعد إلى حديث الحركة.ز فقد درسنا موقف بعد ذلك على ضوء هذه الإجابة الواضحة من سراج الدين.. وعلمنا بوسائلنا الخاصة أن سراج الدين قد أخفى نبأ هذه المقابلة عن جميع وزراء الوفد فى ذلك الوقت.. وأنه أراد أن يبقى أكمرها سرا بينه وبيننا.. وبين مصطفى النحاس..

والواقع أن هذا الموقف من الوفد قد أثر تأثيراً كبيراً فى الأيام التى تلت ذلك..

فقد كانت حوداث القنال تتفاهم يوما بعد يوم. وكان شباب مصر يقوم بأعمال عظيمة وهو أعزل من كل سلاح ألا وطنيته وأيمانه، وكان رجال البوليس يتحملون العبء الأكبر من

أعباء الجهاد ضد الجيش كبير كامل التسلح.. وكان الموقف يفلت من يد حكومة الوفد يوما بعد يوم.. لمحاولتها السير فى اتجاهين واللعب على حبلين فى وقت واحد..

فقد كانت تساير الملك، وتعبئ الشعب.. والملك خائف من الشعب متآمر عليه، والشعب حانق على الملك ثائر عليه.. والحكومة تريد أن تسير فى هذين الاتجاهين المتناقضين.

ولم يكن لنا بد من الانتظار، لان هذه الحكومة لا تريد أن تقف الموقف الحازم الذى يمكننا من التدخل واقرار الأمور، وإيقاف الملك عند حده، أو الإطاحة به، والسير بالكفاح فى طريقه القويم.

وفجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى.. حريق القاهرة.. حدث هذا الحريق الذى أكل اقتصاديات البلاد، وأطاح بسمعتها ومكن القوى الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة دون انتظار ولا توقع من أحد..

وكيف كان لنا أن نتوقع حادثا كهذا..

لقد فوجئنا به.. واعترانا الوجوم أياما... ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية تعمل معا، بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا..

كنا نريد أن يتبين الطريق، وأن نعرف كيف نضرب ضربتنا، بعد وقوع هذا الحادث وما تبعه من سوء الموقف الدولي لمصر، ومن خراب اقتصادي، وذهول شعبي، وانتكاس كامل، وسيطرت الرجعية بصورة لا مثيل لها على كل مرافق البلاد..

وبدأنا نلاحظ ونراقب..

فاروق ينتابه الذعر

وكان أول ما استقرت عنده أفكارنا فترة معينة هو ذلك الذعر الذى انتاب فاروق، عقب الحادث مباشرة.. والتفكير المضطرب الذى كان ينساق به فى الصباح إلى غير ما ينساق به فى المساء.

لقد ذعر فاروق ذعرا شديدا.. وفكر فى الهرب من البلاد، وأعد نفسه للسفر فعلاً.. ووجدنا أنفسنا فى موقف من يجب أن يعد نفسه للعمل فى آيه لحظة، ومهما كانت الظروف والعقبات.

سنعمل وحدنا

واجتمعنا، وحددنا موعدا تقريبيا لحركتنا شهر مارس 1952، أى بعد أيام قليلة من موعد ذلك الاجتماع.. ووضعنا خطتنا كاملة.. وكنا قد راعينا فيها الأساس الأول الذى اتفقنا عليه من بدء التدابير الأولي للحركة، وهو أن ينفرد الجيش بهذه الحركة انفرادا كاملا، دون الاعتماد على آيه هيئة أو جماعة أو حزب ففقد كانت اتصالات جمال عبد الناصر المتعددة مع جميع الهيئات، قد أثبتت لنا بصورة قاطعة أنه لا توجد هيئة واحدة على استعداد للقيام بأى عمل جدي إلى جانبنا..

وأتخذنا هذا الموقف لاكثر من أسبوع.. موقف التأهب لتأمل للقيام بالحركة فى أى وقت..

صورة

ولكن الأسبوع الذى مر به بعد ذلك جدد أحداثا جديدة فى حياة البلاد فقد أقيلت وزارة على ماهر.. أو استقالت مرغمة.. وجاء شهر مارس بوزارة الهلالي، وبأسلوب جديد.. وهدأت مخاوف فاروق، وقرر البقاء فى البلاد.. ووجدنا أن فرصتنا تكون أكبر إذا انتظرنا قليلا حتى تتكشف الأمور، ويفيق الشعب من الذهول الذى أوجدته الأحداث فيه وهكذا قررنا تأجيل موعد الحركة الذى كنا قد حددنا له شهر مارس.. وكان هذا هو التأجيل الأخير..